صيغة التعريف وحدود المنظور السردي

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

استعمال صيغة التعريف بالألف واللام لأول مرة داخل الومضة دون أن يتم ذكر المعرّف من قبل بصيغة التنكير يفترض أن الراوي جزء من العالم الذي تقدم لنا الومضة لقطة أو لحظة منه. ويمكن استعمالها في الومضات المروية بضمير المتكلم لأن الراوي في هذه الومضات حاضر بسرده وبشخصه بوصفه شخصية في هذا العالم. أما إذا كان الراوي غير مشارك في الحدث ويروي الومضة بضمير الغائب، فلا يحق له التعريف بالألف واللام إلا إذا كان قد ذكر الشيء بصيغة التنكير من قبل، ويمكنه أن يستعمل وسائل أخرى للتعريف مثل التعريف بالإضافة أو التخصيص الذي يخصص الشيء وينسبه إلى الشخصية مثلا. كما يمكنه أن يستعمل صيغة التعريف بالألف واللام في حالة أخرى، وهي عندما يروي الحدث من منظور الشخصية ويقتصر دوره كراوٍ على نقل هذا المنظور من خلال صوته، وهنا يتفاوت المنظور عن عملية السرد، إذ ينتمي المنظور للشخصية وينتمي الصوت الذي ينقل هذا المنظور للراوي. وكون الحدث مرويا

بعيون الشخصية يتيح للراوي أن يستعمل صيغة التعريف بالألف واللام لأن الشيء في هذه الحالة مُعرَّف بالنسبة للشخصية التي تراه. أما إذا كان الراوي يروي الحدث من منظور خارجي على الشخصية وعلى مفردات العالم الموجودة فيه هذه الشخصية، فيُفترض أن عينه محايدة وترى الشيء لأول مرة بصيغة النكرة أو بالتعريف بوسائل أخرى غير ألف ولام التعريف.

فعدم مشاركة الراوي في الحدث تستلزم في الكثير من الأحيان – ماعدا فيما يتعلق بالقواسم الثقافية المشتركة بين جمهور اللغة التي يستعملها في سرد النص – كون الأشياء نكرة بالنسبة له، فهو عندما يرى شيئا – من موقعه الافتراضي بوصفه راصدا للحدث – يراه لأول مرة نكرة لا يمثّل له هو شخصيا شيئا ولا توجد علاقة بينهما تستلزم أن يشير إلى ذلك الشيء بصيغة التعريف بالألف واللام، فكل ما هو متاح له أن يستعمل التعريف بصيغة أخرى غيرها، كأن يشير إلى الشيء/الشخص بإضافته إلى شيء/شخص آخر أو باستعمال ضمير وصل يصف هذا الشيء أو الشخص: لا يحق له أن يقول "الرجل" مثلا بصفته مبتدأ أو فاعل الجملة الأولى ثم يأتي بالخبر أو الفعل مباشرة، وإنما عليه – إذا أراد أن يعرِّفه – أن يخصّصَ هذا الرجل بنسبة شيء إليه، كأن يقول "الرجل الذي فعل كذا أو صفته كذا"،

"الرجل ذو الساق المبتورة" أو "الرجل الذي بُتِرَتْ ساقه". فعندما يستعمل التعريف بالأف واللام، لن يكون لتعريفه معنى داخل النص وسيؤدي إلى إفساد النص ذاته، فالتعريف يشير إلى شيء محدد، ولابد أن يتم رصد هذا الشيء من منظور شخص داخل العالم السردي يكون الشيء معرَّفًا ومعلومًا بالنسبة له.

باختصار، عندما نذكر شخصية أو عنصرا من عناصر السرد بصيغة التعريف بالألف واللام، ستعني هذه الصيغة أن هذا العنصر أو هذه الشخصية معروفة للراوي من قبل. وإذا كان الراوي غير مشارك، كيف يمكنه أن يعرف هذه الشخصية ويشير إليها بصيغة تحددها وتدل على أنه يعرفها؟

obeikandl.com